

نداء إلى علماء الأمة .. وأولي الأمر ...

هذه الأمانة في أعناقكم

المهندس
عبد
الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. البحث العلمي السليم في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) يتطلب منهجية تأخذ بعين الاعتبار كتاب الله تعالى كاملاً ، فنصوص كتاب الله تعالى كل لا يتجزأ في تصوير الأحكام التي تحملها .. وإلا .. فسيتهي بنا الأمر إلى جعل القرآن عِضِينَ ، نؤمن ببعض نصوصه ونعرض عن بعض نصوصه ، وسيكون حالنا كحال الذين زعموا مسألة الناسخ والمنسوخ ، بما تحمل من إساءة لكتاب الله تعالى ..

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١٦﴾ فَوَيْلٌكَ لِمَنْ لَسَّ لَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿ [الحجر : ٩١ - ٩٢]

.. البحث العلمي السليم يحتاج إلى تجرد كامل عن كل موروثٍ وفكرٍ مُسبقٍ يُكوّن حاجزاً بين المتدبر وبين نور كتاب الله تعالى ، أي بحاجة إلى تحطيم كل الأصنام داخل النفس ، والتي تشكّلت من تراكم غبار العصبية المسبقة الصنع .. وفي الوقت ذاته - والأهم - بحاجة إلى الالتزام بالتفاعل مع نصوص كتاب الله تعالى من خلال صياغتها

اللغويّة ، وإلى عدم الانتقال من أيّ جزئية إلى التي تليها دون امتلاك الدليل اللغوي السليم ، وذلك من المقدمات إلى النتائج ..

.. هناك الكثير من الأحكام التي تمّ الالتفاف عليها نتيجة الركض خلف القول والقييل ، مع أنّها واضحة وجلية في كتاب الله تعالى ، وأصبح القول والقييل جداراً تتحطّم عليه كلُّ محاولات التدبّر الجردّ مهما حملت من أدلّة وبراهين ..

.. في هذا البحث .. سنقف - إن شاء الله تعالى - عند مسألة هامّة ، هي مسألة الزواج من أرملة العم ومطلّفته ، وأرملة الخال ومطلّفته .. فكما هو معلوم يُسمح - في تراثنا الفقهي - الزواج من أرملة العم ومطلّفته (ومن أرملة الخال ومطلّفته) ، وذلك بعد انتهاء عدّتها بسبب وفاته أو طلاقه لها ..

.. قبل الدخول في هذا البحث ، أتوجّه إلى علماء الأمة ، وإلى العقلاء الباحثين عن الحقيقة ، فأقول لهم : درستّم في كتب الفقه الموروث أنّه يجوز الزواج من أرملة العم ومطلّفته بعد انتهاء العدّة (وكذلك أرملة الخال ومطلّفته) ، وأخذتم ذلك بالتسليم دون النظر فيما يحمله كتاب الله تعالى لهذه المسألة .. ولكن .. بعد وضع هذا البحث بين أيديكم ، وبعد تحميلكم هذه الأمانة ووضعها في أعناقكم .. على من يخشى الله تعالى منكم أن يتدبّر وينظر في الأمر نظرة الباحث عن الحقيقة ، وإن رأى قولنا حقاً عليه ألاّ يكون شيطاناً أحرساً ، وإن رأى كلامنا باطلاً عليه أن يأتي - من كتاب الله تعالى الذي هو تبيان لكلّ شيء كما يؤكّد منزله جلّ وعلا - بالحجّة والدليل الذي ينفي ما تقدّمه في هذا البحث ..

.. أمّا من لا يخشى الله تعالى ، يجعل عصبيّته أكبر من دلالات كتاب الله تعالى ، نقول له : لنا كلّنا وقفة أمام الله تعالى ، ولا يعيننا موقفك بشيء ، لأنه لا يمت للعلم بشيء ، فكتاب الله تعالى علّمنا أنّ العلم الحقّ يؤدّي بصاحبه إلى خشية الله تعالى ..

نداء إلى علماء الأمة .. هذه الأمانة في أعناقكم المهندس عدنان الرفاعي ٣

.. أيها السادة .. علماء كنتم ، أم أولي أمر ، أم مهتمين بأمر كتاب الله تعالى .. هذه الأمانة في أعناقكم ، وسيسألكم الله تعالى عنها عندما تقفون بين يديه ، سيسألكم الله تعالى لأن برهاناً من كتابه الكريم وُضع بين أيديكم ، ولأن المسؤولية بذلك وقعت عليكم : ﴿ طَبِّرْكُمْ مَعَكُمْ إِنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾ [يس : ١٩] ، فما أضعه بين أيديكم كان من المفترض أن أسلافكم وقفوا عنده من زمن الجليل الأول .. ووضعه بين أيديكم هو حجة عليكم أمام الله تعالى ، راجياً الله تعالى ألا يكون الحال تجاه هذا البحث كحال المعنيين بقوله تعالى :

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ١٤]

.. ويشهد الله تعالى ترددت سنين كثيرة حتى نشرت هذا البحث ، خوفاً من إحداث أي مشكلة أسرية .. لكن .. بعد اطمئنان بتوضيح الاستثناء : ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ توضيحاً تاماً كما سنرى بإذن الله تعالى ، بأن من تزوج من امرأة عمه (أو خاله) قبل علمه بتحريم هذا الزواج ، لا إثم عليه ، ويجرم عليه تطليق زوجته ، أو الابتعاد عنها .. وخوفاً من أن أقع في ساحة المعنيين بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ١٩] قمت بنشر هذا البحث ، الذي لا اعتبره فتوى ، إنما أمانة في أعناقكم ..

.. وكوننا ننطلق من تدبر قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ

النساء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢] ، في بحث مسألة الزواج من أرملة العم ومطلّقته (وأرملة الخال ومطلّقته) ، علينا أن نقف عند مفهوم (الأب) في كتاب الله تعالى ، وقوفاً نتعرّض من خلاله إلى كل الآيات الكريمة التي

نداء إلى علماء الأمة .. هذه الأمانة في أعناقكم المهندس عدنان الرفاعي ٤

تحمل دلالاتٍ لهذه المسألة ، منطلقين من كون كتاب الله تعالى كلاً لا يتجزأ ، مؤمنين
إيماناً صادقاً بقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ..

.. في كتاب الله تعالى ، الأبوة لها وجهان ، أبوة معنوية ، وأبوة دموية ..

أولاً : الأبوة المعنوية .. ومن خلالها يتم التعلق بحالة معنوية (إيجاباً ، أم سلباً) ..
والوجه الإيجابي لهذه الأبوة نراه يتجلى في قوله تعالى ..

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ أَجَبْتُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ
مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨]

.. الخطاب في هذه الآية الكريمة موجّه لجملة المؤمنين ، مهما كانت انتماءاتهم الدموية
.. وهؤلاء المؤمنون أبوهم الروحي كقيمة معنوية تجمعهم جميعاً ، هو إبراهيم عليه السلام
: ﴿ مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ..

.. والجانب السلبي في الأبوة نراه في قوله تعالى ..

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١]

.. هنا .. نرى الأبوة في جانبها السلبي ، والآية ليست خاصةً بفردٍ محددٍ بعينه ،

وكلمة : ﴿ لَهَبٍ ﴾ ليست اسماً لابن المعني ..

.. والجانب المعنوي للأبوة نراه يتجلى في قوله تعالى ..

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠]

.. لو نظرنا في السياق السابق واللاحق لهذه العبارة القرآنية ، لرأينا الدلالات فيه تتعلق

بالمهج ، وليس بالدم والنسب ..

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ
أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ
اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا
كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨ - ٤١]

.. وما نراه .. أن كلمة ﴿ رِجَالِكُمْ ﴾ تُضاف فيها كلمة (رجال) للمخاطبين بالنص ..
وكلمة (رجال) هنا تعني التحرك والسعي في أمر إبلاغ الرسالة والذكر والتوجه إلى
الله تعالى ، كما نرى من السياق المحيط بالعبارة قيد الدرس .. فكلمة ﴿ رِجَالِكُمْ ﴾ تعني
: سعيكم وتحرككم في أمر الرسالة ..

وهذا المعنى لكلمة ﴿ رِجَالِكُمْ ﴾ . بمعنى السير والتحرك بقصدٍ مُراد ، نراه في قوله تعالى

: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب : ٤] ..

.. القلب هو مكن إرادة الإنسان وتوجهه ، ولا يعني مجرد العضلة المادية التي تنبض
داخل جسم الإنسان ، فقد يكون الإنسان مريضاً في قلبه دون أن يكون للعضلة التي تضخ
الدّم في جسمه أي تعلق بمرضٍ مادي : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة
: ١٠] ، فالقلب في كتاب الله تعالى يصف مسألةً معنويةً تتعلق بتمكن إرادة الإنسان
وتوجهه ..

.. وقد يكون للإنسان عدّة توجهات في الوقت ذاته ، بمعنى له رؤى مختلفة في قضية
ما .. ولكن هذا الإنسان حينما يمشي ويسير في هذه القضية لا تكون له إلا إرادة واحدة
، بمعنى توجه واحد لا ينافسه توجه آخر ، هذا عندما يجمع أمره ويمشي باتجاه ما يريد ،
وهذا ما تنطق به العبارة القرآنية ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ ،

نداء إلى علماء الأمة .. هذه الأمانة في أعناقكم المهندس عدنان الرفاعي

فكلمة ﴿لِرَجُلٍ﴾ لم تُذكر عبثاً ، فالمتحرّك والساعي بقصده وإرادته في أيّ قضية لا يُوجد له إلا توجّه واحد محمولٌ على إرادة واحدة ، وإلا لما عزم أمره على ذلك ..
وبالتأكيد كلمة ﴿لِرَجُلٍ﴾ هنا]] شأنها شأن كلمة ﴿رِجَالِكُمْ﴾ في العبارة قيد
الدرس]] لا تعني الذكر المقابل للأنثى ، إنّما تعني الساعي والمتحرّك بقصده وإرادته
باتّجاه محدّد ، وقد ورد ذلك في كتاب الله تعالى ..

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾
[البقرة : ٢٣٨ - ٢٣٩]

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧]

.. من هنا نرى أنّ قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ يعني : ما
كان محمدٌ أصلاً ومرجعاً وأساساً وقيمةً لانتماء أيّ من توجّهاتكم ومساعدكم المختلفة
المتناقضة المبنية على عصيانتكم .. وتأتي العبارة التالية لها مباشرة لتبيّن حقيقة محمد ﷺ :
﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ..

وكنّا قد رأينا في كتاب المعجزة الكبرى ، أنّ هاتين العبارتين متناظرتان بالنسبة لعدد
الحروف ، بمجموع حروفٍ يقابل فترة الرسالة السماوية : (٢٣) عاماً ، كما نعلم ..
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ = ٢٣ حرفاً
﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ = ٢٣ حرفاً
.. ورأينا أنّهما متكاملتان في معيار معجزة إحدى الكُبرى ..

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

[الأحزاب : ٤٠] = ٢٨٥ = ١٩ × ١٥

ثانياً : الأبوة الدموية .. وهي صفة عامّة تشمل - بشكل عامّ - الوالدين والأعمام والأخوال والجدّين بالأتجاهين ، وما علا ..
.. لننظر في القول التالي ليوسف عليه السلام ..

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [يوسف : ٣٨]

.. يعقوب هو والد يوسف ، وإسحاق هو والد يعقوب ، وإبراهيم هو والد إسحاق ..
.. ونرى أنّهم كلّهم آباء ليوسف : ﴿ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ..
.. في كتاب الله تعالى كلمة الأب تصف الوالد والعم (والخال) والجدّ وما علا ،
وصولاً إلى آدم عليه السلام ..

﴿ يٰبَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف : ٢٧]

فآدم وزوجه عليهما السلام بالنسبة لنا كمخاطبين بهذه الآية الكريمة ، كلّ منهما هو
أب لنا ، وكلمة : ﴿ أَبَوَيْكُم ﴾ بهذه الصياغة واضحة وجليّة .. إذاً .. كلمة أب تُطلق
أيضاً على الأم .. وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا بُؤْيُوكُم لِكُلِّ وَٰجِدٍ مِّنْهُمَا
أَلْسُدُسٌ مِّمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء : ١١] ... فكلمة : ﴿ وَلَا بُؤْيُوكُم ﴾ صريحة
في أنّها تعني الأم إضافة للأب ..
.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣]

.. نحن نعلم أن إبراهيم عليه السلام هو جدُّ يعقوب عليه السلام ، وأنَّ إسماعيل عليه السلام هو عمُّه ، وأنَّ إسحاق هو والده .. وما نراه في هذه الآية الكريمة أنَّهم يُوصفون كآباء ليعقوب عليه السلام : ﴿ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ .. إذاً .. الوالد والعم والجد يُوصفون في كتاب الله تعالى بصفة الأب ..

.. وهنا لا بدَّ من الوقوف عند ﴿ عَزَّرَ ﴾ الذي وُصف أباً لإبراهيم عليه السلام ..

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءِالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذْ أُرْسِلْتُ فِي صَلَٰلِ مَبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] .. فكلمة ﴿ عَزَّرَ ﴾ في هذا السياق ، تُبين لنا أن

لإبراهيم عليه السلام أباً اسمه ﴿ عَزَّرَ ﴾ .. فما هي الرابطة الدمويَّة بين ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وبين

﴿ عَزَّرَ ﴾ ؟ .. ما دامت صفة الأب تُطلق على الوالد والعم (والخال) والجد وما علا ،

فمن هو ﴿ عَزَّرَ ﴾ بالنسبة لإبراهيم عليه السلام ؟ للإجابة على هذا السؤال ، لا بدَّ

من العودة إلى سيرة حياة إبراهيم عليه السلام في كتاب الله تعالى ..

.. في بداية سيرة إبراهيم عليه السلام وقبل أن يكتشف أن أباه ﴿ عَزَّرَ ﴾ عدوُّ الله

تعالى ، قبل ذلك وعد أباه ﴿ عَزَّرَ ﴾ بأن يستغفر له عند الله تعالى ..

﴿ يَتَابَعُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ قَالَ

أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ ءِالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴾ قَالَ سَلِّمْ

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٥ - ٤٧]

.. ولكن .. بعد ذلك .. وبعد أن تبين له أن أباه ﴿ءَازَرَ﴾ عدوُّ الله تعالى ، كان له

موقفٌ آخر ..

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿ [التوبة : ١١٣ - ١١٤]

.. إذاً .. إبراهيم عليه السلام لن يستغفر لأبيه ﴿ءَازَرَ﴾ بعد أن تبين له أنه عدوُّ الله تعالى .. هذا ما ينطق به صريح كتاب الله تعالى .. وبالتالي فأى استغفارٍ بعد ذلك يقوم به إبراهيم عليه السلام لأيِّ كان لا يمكن أن يعني أباه ﴿ءَازَرَ﴾ ..
.. وفي سيرة إبراهيم عليه السلام نرى أن إبراهيم عليه السلام وبعد أن بلغه الكبر ، يستغفر لوالديه ..

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿ [إبراهيم : ٣٩ - ٤١]

.. إذاً .. مَنْ استغفر لهما إبراهيم عليه السلام عندما بلغه الكبر لا يمكن أن يكون منهما أبوه ﴿ءَازَرَ﴾ .. فإبراهيم لن يستغفر لأبيه آزر بعد أن تبين أن ﴿ءَازَرَ﴾ عدوُّ الله تعالى .. إذاً .. ﴿ءَازَرَ﴾ ليس مشمولاً بدعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ ..

.. وورود الصيغة : ﴿ وَلَوْلَدَيْ ﴾ بدل صيغة الأبوة يؤكد ذلك .. فإبراهيم لم يقل على سبيل المثال : (ربنا اغفر لي ولأبوي) كعبارة مفترضة من الممكن أن يدخل من خلالها ﴿ ءَأَزَّر ﴾ في ساحة هذا الاستغفار إنما قال : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلَوْلَدَيْ ﴾ .. فأباه ﴿ ءَأَزَّر ﴾ لا يمكن أن يكون معنياً بهذا الاستغفار ، ووالدا إبراهيم عليه السلام ليس منهما أبوه آزر ..

.. وفي نصوص كتاب الله تعالى التي يُذكر فيها أبو إبراهيم : ﴿ ءَأَزَّر ﴾ ، نرى أنّ النصّ الأوّل فيها (حسب ترتيب ورودها في كتاب الله تعالى) يُذكر فيه أنّ هذا الأب اسمه ﴿ ءَأَزَّر ﴾ ، وتأتي بعد ذلك كلّ النصوص (حسب ترتيب ورودها في كتاب الله تعالى) دون ذكر اسم ﴿ ءَأَزَّر ﴾ ، كون هذا الأمر أصبح معلوماً في النصّ الأوّل حسب ترتيب ورود هذه النصوص في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَّرُ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [الأنعام : ٧٤]
 ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ [التوبة : ١١٤]
 ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٤١ - ٤٢]
 ﴿ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿١١٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ هَا عَلَيْكُمْ ﴿١١٤﴾ وَإِنِّي أَخَافُ إِنِّي عَنِتُّمْ ﴾ [الأنبياء : ٥١ - ٥٢]
 ﴿ ﴿١١٥﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء : ٦٩]

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿ [الصافات : ٨٣ - ٨٥]

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿ [الزخرف : ٢٦]

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿ [المتحنة : ٤]

.. فكلمة ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ في أول آية ترد فيها في كتاب الله تعالى متعلقةً بأبي إبراهيم]]

الآية (٧٤) في سورة الأنعام]] نراها تُتبع بكلمة ﴿ ءَأَزَّرَ ﴾ كتبيان لاسمه ﴿ لِأَبِيهِ ءَأَزَّرَ ﴾

.. بعد ذلك ترد كلمة ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ والمتعلقة بأبي إبراهيم دون ذكر اسم ﴿ ءَأَزَّرَ ﴾ كون

الأمر أصبح معلوماً في الآية الأولى حسب ترتيب ورود في كتاب الله تعالى ..

.. ونستطيع أن نقف على هذه الحقيقة [من أن العم (والخال) يُوصف في كتاب الله

تعالى بالأب] من طريق آخر ما دام العم (والخال) هو أب ، فمن الطبيعي أن

يُوصف ابنُ الأخ (وابن الأخت) بأنه ابن .. هذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ

الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ وَالَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعْتِ

وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نَسَأْتِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ

لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿ [النساء : ٢٣]

.. لماذا ترد الكلمتان ﴿ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ ؟ .. بالتأكيد ليس عبثاً وليس حشواً ..

وإن قال قائل ترد هاتان الكلمتان ﴿ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ لبيان حقيقة أنّ الأبناء المعيّنين هم من الأصلاب ، وليسوا من الأدعياء ... هذا القول ليس صحيحاً على الإطلاق .. فالله تعالى الذي يأمرنا بأن لا نُطلق على أديعائنا اسم أبنائنا ، لا يمكن أن يُطلق هو سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عليهم اسم الأبناء لنا ..

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١﴾ ۗ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۗ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحراب : ٤ - ٥]

.. فكيف إذاً تكون العبارة القرآنية ﴿ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَحَاتِلٌ

أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ وُضعت لتبيان أبنائنا الذين من أصلابنا لتمييزهم عن أبنائنا بالتبني؟!!!!!! .. كيف يكون لنا أبناء بالتبني حيث يُوصفون في كتاب الله تعالى بذلك (بالأبناء) والله تعالى يقول ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾!!!!!! .. كيف يكون لنا أبناء بالتبني حيث يُوصفون في كتاب الله تعالى

بذلك (بالأبناء) والله تعالى يقول ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾!!!!!! ..

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ وَحَاتِلٌ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ يعني أبنائنا الذين

من أصلابنا ، الذين هم أولادنا ، وبالتالي هناك أبناء لنا ليسوا من أصلابنا ، وهم أبناء

إخوتنا وأبناء أحواتنا .. ولا يمكن أن يكونوا أبناءنا بالتبني .. فمادام العم (والخال) يُسمّى بالأب ، فمن الطبيعي أن ابن الأخ (وابن الأخت) يُسمّى بالابن ، ولكنه ابن ليس من الصّلب ..

.. وهناك دليل آخر على أن كلمة أب تُطلق - إضافة للوالد - على الأعمام والأخوال والجد بالاتجاهين وما علا .. هذا الدليل نراه في الآية الكريمة التالية التي تبين الرجال الذين يُسمح للمرأة أن تُبدي زينتها أمامهم ..

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاؤِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أُمَّهَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ بُعُولَتِهِنَّ أُولَئِكَ يُحِلُّ لَكُمَّ أَنْ تُلَاقَهُنَّ مَا كُنْتُمْ تُحِلُّونَ لَهُنَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣١] ..

.. هنا كلمة : ﴿ آبَائِهِنَّ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، هي التي تشمل : الأعمام والأخوال والجد بالاتجاهين وما علا .. فكون كتاب الله تعالى كاملاً ليس ناقصاً وتبياناً لكل شيء كما يؤكد منزله جلّ وعلا ، وكون العم والخال والجد أقرب للمرأة من بعض من تبيح لهم هذه الآية الكريمة أن تُبدي زينتها أمامهم ، فإن ذلك يقتضي - إضافة للأدلة الدامغة التي رأيناها - أن كلمة ﴿ آبَائِهِنَّ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، هي التي تشمل : الأعمام والأخوال والجد بالاتجاهين وما علا ..

نداء إلى علماء الأمة .. هذه الأمانة في أعناقكم المهندس عدنان الرفاعي ١٤

.. إذا .. في كتاب الله تعالى كلمة أب تُطلق على الوالد وعلى الوالدة وعلى العم وعلى الخال وعلى الجد بالاتجاهين وما علا ..
.. وهنا .. سؤال يطرح نفسه ، ما دامت صفة الأبوة تغطي الوالد والوالدة والعم والخال والجد بالاتجاهين وما علا ، فلماذا يُعطف الأعمام والأخوال على الآباء في الآية الكريمة التالية !؟ ..

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَمَلَاتِكُمْ أَوْ مَالِكُمْ مَفَاهِمٌ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا تَعْقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١]

.. هنا في هذه الآية الكريمة نرى الأمر يتعلّق بالبيوت والأكل منها ، بمعنى : بملكيّة البيوت ، وهذا أمر آخر مستقلّ عن الانتماء الدموي الذي تغطيه صفة الأبوة .. فالعطف هو للبيوت التي تُضاف للأشخاص ، وملكيّة هذه البيوت أمر مستقلّ عن رابطة الدم والنسب .. ولذلك نرى عطف العبارة : ﴿ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ على العبارة : ﴿ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾ ، مع العلم أنّ الأم - ودون أدنى شك - تُسمّى في كتاب الله تعالى بالأب ، كما رأينا .. فأصل العطف هنا هو للبيوت ، وبيوت الآباء ليست هي ذاتها بيوت الأمّهات أو بيوت الأعمام أو الأخوال .. ولو لم يذكر الله تعالى هذا التفصيل والتمييز بين الأشخاص مالكي هذه البيوت ، لتسرب إلى الذهن شكٌّ أنّ المسموح بالأكل منه هو فقط البيوت المشتركة ما بين هذه الأعيان ..
.. وضرورة هذا التمييز بين الأعيان بذكر كلٍّ منهم بعينه ، نراه في قوله تعالى ..

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٣]

.. هنا لقائل أن يقول .. لماذا عُطفت العبارتان : ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ على العبارة : ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾؟! .. أليس أبناء الإخوة هم أبناء المخاطب ، وبالتالي كلمة ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ تشمل بنات الأخ وبنات الأخت؟! ..

.. نقول : هنا سمت الخطاب هو للذكور في عقدهم على الإناث ، وتذكر المحرمات بعينها .. وما نراه في هذا النص هو صيغة البنت : [﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾] ، ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ [] ، وليس صيغة الابن .. وصيغة البنت هي حالة خاصة من صيغة الابن .. صيغة البنوة هي لجنس الأبناء ذكورا وإناثا .. لكن .. عندما تُقابل البنوة بالبنات تكون حاملة للمعنى المقابل ، وهو الذكور ..

﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٠]

﴿ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبِّيُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٩]

﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ [الصافات : ١٥٣]

﴿ أَمَّا تَخَذَ مِمَّا سَخَلَتْ بَنَاتٍ وَأَصْفَدَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٦]

﴿ أُمَّ لَّهُ أَلْبَنَتْ وَلَكُمْ أَلْبُنُونَ ﴾ [الطور : ٣٩]

.. في هذه الآية الكريمة [النساء : ٢٣] ، نرى صيغة البنت ، وليس البنوة .. وما رأيناه مقابلاً للأبوة هو البنوة .. ونرى أيضاً تصويراً يتعلّق بالمذكورات ذاهن ، وليس تصويراً عاماً ..

.. الآن .. بناء على هذه الحقائق القرآنية الجليلة التي بيناها ، كيف نفهم قوله تعالى ..

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ

فَحِشَّةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢]

.. كون الأمر هنا يتعلّق بالنهي عن إنشاء هذا العقد ، كعقد نكاح ، وليس بأعيان

محدّدة بذاتها ، وذلك بدليل كلمة : ﴿ مَا ﴾ دون كلمة (مَنْ) : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ

آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .. فالصيغة تتعلّق بالعقد ، وهي صيغة عامّة ، وليست خاصّة

بأعيان محدّدة ..

.. ما نودّ قوله : صيغة قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ، ليست خاصّة بأعيان محدّدة من النساء اللاتي تزوجهنّ أب

محدّد بعينه ، من مجموعة الآباء التي تحملها الصيغة : ﴿ آبَاؤُكُمْ ﴾ ... بمعنى : كلمة :

﴿ آبَاؤُكُمْ ﴾ صيغة عامّة ، لا يمكن الجزم بأنّها لا تشمل الوالد والأعمام والأخوال

والجد بالالتجاهين وما علا !!!؟ ..

.. فلكلّ فرد من الأفراد المخاطبين بهذه الآية الكريمة آباء (الوالد والأعمام والأخوال

والجد بالالتجاهين وما علا) ، وبالتالي فكلمة ﴿ آبَاؤُكُمْ ﴾ حيث الخطاب - كما نرى

لذكور المجتمع بمجموع أفراده - تعني جمعاً لآباء كل فرد (الوالد والأعمام والأخوال

والجد بالالتجاهين وما علا) ، بمعنى تعني جمعاً للجمع .. وجمع الجمع هو في النهاية جمع ..

.. من يستطيع الإثبات بالدليل من كتاب الله تعالى أن كلمة ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ هنا لا تعني إلاً جمعاً للوالد والجدّ دون الأعمام والأخوال ؟ .. من ؟ .. ولماذا نقبل دخول الجدّ بدلالات كلمة ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ (وهذا صحيح) ولا نقبل دخول الأعمام والأخوال ؟ ، مع أننا نرى في كتاب الله تعالى أن كلمة أب كصيغة عامّة ، تشمل الأعمام والأخوال أيضاً ؟ ..

.. وإن تخيّل متخيّل أن كلمة ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ هنا هي جمع للوالد فقط ، وأنّ الجد يدخل في التحريم كونه في جهة الوالد (أو الوالدة) باتجاه الأعلى ، إن تخيّل متخيّل ذلك ، فهذا التخيّل تناسبه كلمة مفترضة هي كلمة (والدوكم) ، بمعنى : أن العبارة المفترضة لهذا التخيّل هي : **(ولا تنكحوا ما نكح والدوكم من النساء)** .. ولكن .. ما نراه أن الآية الكريمة هي : **(وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)** ..

.. إذا .. على أيّ أساس يتم استثناء الأعمام والأخوال من الدلالات المحمولة بكلمة ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ في قوله تعالى **(وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)** ؟ ..

.. وهنا نسأل علماء الأمة وأولى الأمر والنهي وكلّ من يحمل في قلبه اعتباراً لكتاب الله تعالى .. هل الزواج من أرملة العم ومطلّفته وأرملة الخال ومطلّفته - وفق الأدلة التي رأيناها - موضع شك ، أم لا ؟ .. أم أنّ في هذا السياق البرهاني حلقة مفقودة ، تغيب عنّا ؟ .. وهل هناك من برهان قرآني مفترض ، يؤدي إلى نقيض ما سقناه ، وإلى إثبات أنّ كلمة : ﴿ءَابَاؤُكُمْ﴾ هنا لا تشمل الأعمام والأخوال ؟!!! الإجابة على ذلك في عهدة علماء الأمة والباحثين عن الحقيقة وكلّ من يعنيه كتاب الله تعالى أكثر من عصبيّاته ..

.. ألا يحقّ لنا أن نسأل السؤال التالي لمن يقدمون أنفسهم علماء ناطقين باسم الله تعالى (بوكالة حصرية) معتقدين أنّه لا يحقّ لغيرهم النظر كمتدبّرين في كتاب الله تعالى :

في فقهكم الذي تنسبونه لمنهج الله تعالى ، ما هو دليلكم القرآني بتحليل الزواج من أرملة العم ومطلّقتة ، ومن أرملة الخال ومطلّقتة ؟!!!!!! ..

.. ولو فرضنا جدلاً أنّ هذا السياق الدلالي الذي تقدّمه ليس سليماً ، فإنّي أرجوكم - خدمة للحقّ الذي يحمله كتاب الله تعالى - أن تفتّدوا لنا فساد هذا الاستدلال ، التزاماً

بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] ..

.. في هذا السياق الدلالي الذي أعرضه ، أنا لا أفتي بشيء ، أنا لا أفتي بشيء ، أنا لا أفتي بشيء ، أنا أفتي بشيء ، فالإفتاء قضية أخرى .. أنا أضع تدبراً لعبارات كتاب الله تعالى بين أيدي

الأمة ، وأرجوهم العمل بقوله تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] ..

.. واستكمالاً لطرح المسألة نقول : هنا سؤال يطرح نفسه ... ما الدلالة التي تحملها

العبرة القرآنية ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ

مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] !؟ بمعنى : ما هو الفارق في

الدلالات ، لو وردت هذه الآية الكريمة دون العبارة : ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ .. أي لو

وردت بالشكل : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف) ؟ ..

.. في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، النكاح هو العقد بين الرجل والمرأة ، ولا

يعني حتمية المس (الدخول) ، فقد يحصل النكاح (العقد) دون الدخول (المس) ..

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ [الأحزاب : ٤٩]

.. وفي كتاب الله تعالى حيث النكاح الذي هو العقد بين الرجل والمرأة ، نرى أنّه بهذا

العقد ، الرجل ينكح المرأة ، والمرأة تنكح الرجل ..

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِجْلَ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٠]

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ زَوْجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا

بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

.. ولذلك نرى في كتاب الله تعالى أن سميت الخطاب في العبارات الحاملة لصيغ الفعل

(نكح) ، يتعلّق بِمَنْ يتعلّق به الحُكْم المحمول في السياق ، إمّا الرجال كالعبارة قيد

الدراسة ، وأمّا النساء كالعبارة : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ زَوْجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا

بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ، وأمّا المجتمع كالعبارة : ﴿ وَلَا تُنكِحُوا

الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة : ٢٢١] .. فسمتُ الخطاب - في هذه المسألة - له

تعلّقه بالجهة المخاطبة ، كمتلقية للأحكام المتعلقة بالنكاح ..

.. والعبارة : ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ

مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ، والتي تتبع عبارة النكاح ، وتحدّد سميت الخطاب بأنّه

موجهٌ حصراً للرجال ، نراها تتكرّر أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ

وَتِلْكَ وَرَبْعَ ﴾ [النساء : ٣]

.. وهنا الأمر يتعلّق بكون التعدّد في النساء وليس في الرجال .. فلو جاءت هذه

العبارة : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرَبْعَ ﴾ ، على الشكل :

(فانكحوا ما طاب لكم مثنى وثلاث ورباع) دون ذكر العبارة : ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ،

لكان من الممكن أن يتسرّب إلى الذهن شكٌّ بأن تنكح المرأة أكثر من رجل معاً

ولكن بورود العبارة : ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ ، تمّ تحديد سمت الخطاب ، بأنه موجّه للذكور حصراً في عقدهم على النساء ، وليس العكس ..

.. وتحديد العبارة ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ لسمت الخطاب بأنه للرجال حصراً ، نراه أيضاً في

الآية الكريمة التي نحن بصدد دراستها ..

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢]

.. كون العمّة والحالة تُسميان - في كتاب الله تعالى - تسمية الأب ، كالعم والخال كما رأينا ، فإنّ ورود هذه الآية الكريمة بالشكل : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف) ، يحمل احتمالاً بالتحريم المؤبّد لعقد المرأة على ما نكحت عمّتها وخالتها من الرجال .. بمعنى : يحرم تحريماً مؤبّداً زواج المرأة من زوج عمّتها وزوج خالتها ، بعد انتهاء عدّة عمّتها أو خالتها من وفاة أو طلاق ..

.. فحذف هذه العبارة : ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ ، يقتضي أنّ سمت الخطاب موجّه للرجال

والنساء وليس محصوراً بالنساء ، ومن آباء المرأة عمّاتها وخالاتها .. وبالتالي فإنّ العبارة المفترضة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف) تحرم - تحريماً مؤبّداً - العقد بين المرأة وزوج عمّتها ، وزوج خالتها ، بعد موت عمّتها وخالتها أو طلاقهما ، وانتهاء العدّة ..

.. بينما بورود العبارة ﴿ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ تحدّد سمت الخطاب بأنه موجّه للذكور

حصراً ، وبالتالي فالمعنيات هنّ ما تمّ العقد عليهنّ من قبل الآباء الذكور فقط (الوالد والأعمام والأخوال والجد بالانجهاين وما علا) ..

.. لقد بيّنت في كتيبي (على سبيل المثال كتاب : محطّات في سبيل الحكمة) ، وفي

برامجي التلفزيونيّة ، أنّ تحريم الجمع بين المرأة وعمّتها والمرأة وخالتها تحت رجل واحد ، هو

نداء إلى علماء الأمة .. هذه الأمانة في أعناقكم المهندس عدنان الرفاعي (٢١)

حكم قرآني ، وهذا التحريم هو تحريم مؤقت ، بمعنى لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها تحت رجل واحد .. ولكن .. بعد موت المرأة أو طلاقها ، وانقضاء العدة ، يجوز الزواج من عمّتها أو خالتها ، أو بنت أخيها أو بنت أختها .. فالحرّم هو الجمع ، والحرمة ليست أبدية ، بينما الحرمة من امرأة العم والخال هي أبدية ... فورود العبارة

القرآنية ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ في هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] ، يبيّن هذه الحقيقة ، بأنّ الحرّم تحريماً مؤبداً

هو عقد الرجل على من عقد عليها والده وأعمامه وأخواله والجدّ وما علا ، وذلك من خلال مخاطبة النصّ للذكور دون النساء ، وذلك في عقدهم على النساء ..

.. واستكمالاً لعرض هذه المسألة قد يقول قائل : إن كانت امرأة العم وامرأة

الخال محرّمة على الرجل ، فأين هو النصّ في كتاب الله تعالى الذي يبيّن لنا بأنّها يُسمح لها بإبداء زينتها أمامه ؟!!! ..

.. نقول : بيّننا فيه الكفاية أنّ أبناء الإخوة (نعني الإخوة ذكوراً وإناثاً) يُوصفون

في كتاب الله تعالى بالأبناء ، والفارق بينهم وبين الأولاد أنّ الأولاد هم أبناء من الصلب ،

بينما أبناء الإخوة هم أبناء ليسوا من الصلب ، ولكنهم يُوصفون بالأبناء .. وفي الآية

الكريمة التي بيّن الله تعالى فيها الذين يُسمح للمرأة بإبداء زينتها أمامهم ، نرى العبارة :

﴿ أَبْنَاءٌ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ ..

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَ مِنَ أَبْصَرِهِنَّ وَحَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

بِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ

التَّسْبِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [النور : ٣١] ..

.. فالعبارة القرآنية ﴿ أَبْنَاءُ بُعُولَتِهِمْ ﴾ تشمل - فيما تشمل - ابن أخ البعل ،
كون ابن أخ البعل - كما بينا - هو ابنه الذي ليس من صلبه ، وبالتالي هو ابنه ..
وكذلك ابن أخت البعل ، كون البعل خاله ، والخال يُسَمَّى بالأب ..
.. من هنا نرى أن المرأة تبدي زينتها أمام أبناء إخوة بعلها ، وأبناء أخوات بعلها ،
وهم الذين يحرم عليهم الزواج منها ، فابن أخ البعل هي بالنسبة له امرأة عمه ، وابن
أخت البعل هي بالنسبة له امرأة خاله .. إذاً .. في كتاب الله تعالى بيان بحرمة الزواج من
امرأة العم وامرأة الخال ، وبيان بأن هذه المرأة تُبدي زينتها أمامهم بالحِثَّة المذكورة في
الآية الكريمة التي رأيناها ..

.. واستكمالاً لطرح هذه المسألة ... بل من الضروري والهام جداً في تبيان أحكام
هذه المسألة ، أن نقف عند تفسير العبارة القرآنية : ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكْحُوا مَا تَصَدَّقُوا بِالْأَمْوَالِ الَّتِي نَكَحْنَاكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً
وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢] .. فدلالات هذه العبارة القرآنية ﴿ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ ﴾ هي جزء من أحكام هذه المسألة المحمولة بهذه الآية الكريمة ..

.. كلمة : ﴿ سَلَفَ ﴾ هي بمعنى : انتهى ، وتم ، وتقدّم ، وفات ، وهذا ما نراه في

الآيات التالية ..

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا أَلْفًا وَرَبًّا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ

مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٥]

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّهُ كَانَ

فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢]

﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ ﴾ [النساء : ٢٣]

﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۗ ﴾ [المائدة : ٩٥]

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ۗ ﴾ [الأنفال : ٣٨]

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ ۗ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [يونس : ٣٠]

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَبِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤]

.. وهذا المعنى نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

لِلْآخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٥ - ٥٦]

.. الآن .. دلالات العبارة القرآنية ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَلَا

تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا

وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢] ، وبالمناظر المحرّد عن التاريخ الذي ننظر من خلاله إلى

كتاب الله تعالى ، تعني : إلا ما قد انتهى ، وتمّ ، وتقدّم ، وفات ، وذلك نسبة للعلم بهذا

الحكم واعتماده حكماً من أحكام منهج الله تعالى بمعنى : إلا ما قد تمّ من زواج من

أرملة العم ومطلّفته وأرملة الخال ومطلّفته قبل العلم بهذا الحكم واعتماده حكماً من

أحكام منهج الله تعالى كباقي الأحكام المعلومة في الإسلام بمعنى : قبل علم هذا

الحكم والإيمان به واعتماده حكماً من أحكام منهج الله تعالى .. قبل ذلك .. ما قد تمّ

يكون قد تمّ ، ولا شيء عليه ..

.. بمعنى .. أن من تزوج أرملة عمه أو مطلقته (أو أرملة خاله أو مطلقته) دون علم بالحرمة ، ونتيجة تحليل الفقهاء والمشايخ لذلك ، وذلك قبل اعتماد هذا الحكم والإيمان به كباقي أحكام منهج الله تعالى ، فلا شيء عليه ، كونه مشمولاً بالاستثناء ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، وبالتالي يتابع حياته الزوجية وكأن شيئاً لم يكن ولا يجوز له الانفصال أو التأثير النفسي وتفكيك أسرته بناء على علمه اللاحق (بعد زواجه) بهذا الحكم وبناء على علمه اللاحق باعتماد هذا الحكم كحكم فقهي من أحكام منهج الله تعالى يُفتى به ، فالعبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ هي جزء لا يتجزأ من الحكم الإلهي الذي يأمر الله تعالى به .. وأصل التحريم ليس دموياً ما بين الرجل وأرملة عمه (وخاله) أو مطلقته ، الأمر يتعلّق بحكم إلهي يأخذ اعتباراً لقربى العمّ والخال والجدّ وما علا ، والإثم على تطبيقه يكون بعد العلم به ، واعتماده حكماً فقهيّاً يُفتى به ..

.. إنّ العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ليست حشواً لا فائدة منه .. ولو كان الأمر بعد العلم بهذا الأمر واعتماده فقهيّاً ، كالأمر قبله ، لما كان لورود هذه العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ معنى .. فالدلالة المحمولة بالعبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ تؤكّد أنّ الأمر بعد العلم بهذا الحكم والإيمان به واعتماده كحكم فقهيّ يُفتى به ، ليس كالأمر قبل ذلك ..

.. وأقول لمن هو الآن متزوج من أرملة عمه أو مطلقته (أو أرملة خاله أو مطلقته) ، ما عليك من شيء ، فزواجك كان موافقة للموروث الذي نحتكم إليه قروناً طويلة في معظم أمور حياتنا الفقهية ، والأهم من ذلك أنّك مشمول بالعبارة القرآنية : ﴿إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ٢٢] ..

.. وأيُّ تصرف بالانفصال أو الانطواء النفسي أو الابتعاد عن زوجتك ، مما يهدّد أسرتك ، يعني ردّاً للاستثناء الإلهي ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، وبالتالي هو ردٌّ للحكم الإلهي ، بمعنى هو مخالفة لمنهج الله تعالى .. ومن جهة أخرى .. أصل التحريم هنا ليس لرابطة دمويّة بينك وبين زوجتك ، إنّما لاعتبار قيمة الأبوة ، والله تعالى متزلّ هذا الحكم ، هو من وضع لك هذا الاستثناء : ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، وهو من سيحاسبك على ردّ هذا الاستثناء إن طلّقت زوجتك ، أو ابتعدت عنها ، بعد علمك بهذا الحكم ..

.. من يفصل عن زوجته (أو ينطوي) بعد سماعه بهذا الأمر ممّن تزوّج أرملة عمّه أو مطلّفته (أو أرملة خاله أو مطلّفته) ، بسبب علمه بهذا الأمر] وحتى بعد حال اعتماده فقهيّاً كحكم من أحكام منهج الله تعالى التي يُفتى بها ، وبعد حال إجماع الأمة على ذلك [[يكون قد كفر بدلالات العبارة القرآنيّة ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، وعقوبته - عند الله تعالى - كعقوبة من علم بهذا الأمر وآمن به وعلم باعتماده حكماً من أحكام منهج الله تعالى ، وبعد ذلك تزوّج من أرملة عمّه أو مطلّفته (أو أرملة خاله أو مطلّفته) بعد انتهاء العدة .. فالنهي الإلهي : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ٢٢] هو أمر متكامل لا تجوز تجزئته ، والعبارة القرآنيّة فيه : ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، هي ضمن الأمر الإلهي :

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، وبالتالي فالعمل بنقيض قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ كالعامل بنقيض قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ..

.. لقد وقفت عند هذا الأمر منذ سنين .. ولكنني تردّدت كثيراً ، خوفاً من أن تُهدم ولو أسرة واحدة ، وخوفاً من أن يُشرّد ولو طفل واحد .. ومكمن خوفي هو ألا يتمّ

العمل بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ، وأن يُؤخَذَ حكم الله تعالى على أنه ينتهي عند العبارة القرآنية ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ، مع العلم أن النصَّ بين في كون العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ جزءاً لا يتجزأ من الحكم الإلهي :
﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ..

.. وأثناء تصوير برنامج المعجزة الكبرى (الجزء الأول) سجّلت حلقة حول هذا الموضوع ، وكانت مستوفية لكل الأدلة ، وبيّنت فيها ضرورة عدم تفكيك أي أسرة بناء على هذا الحكم ، وأن من يفعل ذلك يردُّ حكم الله تعالى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ على الله تعالى ، وشرحت ذلك جيداً .. ولكن .. عندما ذهبت ليلاً إلى البيت بعد انتهاء التصوير ، لم استطع النوم حتى الصباح خوفاً من أكون سبباً في الإساءة لأي أسرة ، وفي اليوم التالي امتنعت عن التصوير حتى تُحذف هذه الحلقة ، وتمت الاستجابة لطلبي ..
.. لكن .. هناك خوفٌ آخر أكبر ، هو الخوف من أن أكون من المعنّين بقوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة : ١٤٠] ، وهذا ما دفعني لأن أضع هذا الأمر في أعناق العلماء وأولي الأمر .. وأرجو الله تعالى أن أكون في هذا البحث قد أدّيت الأمانة وقمت بواجبي تجاه كتاب الله تعالى ، وتجاه الأمة .. وأنا لا أفتي ، أنا لا أفتي ، أنا لا أفتي ، وأقول لا بدّ من اعتماد هذا الأمر من قِبَل الأمة بعد تمحيص الحجّة والدليل أنا أضع هذه الأدلة القرآنية بين أيدي العلماء ليتدبّروها ، وليعملوا بقوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص : ٢٩] ، وبذلك أضع المسؤولية - أمام الله تعالى

- في أعناقهم ..

نداء إلى علماء الأمة .. هذه الأمانة في أعناقكم المهندس عدنان الرفاعي ٢٧

.. أضع هذا التدبر بين أيدي الباحثين عن الحقيقة ، كما دة للبحث ، وأرجو ألا يتسبب ذلك بأي إساءة لأي أسرة .. وأقول لمن لا يعينهم التدبر في كتاب الله تعالى : دعوا تقليدكم الأعمى ولو مرة واحدة في حياتكم ، وابحثوا عن أي خلل فيما أعرض من أدلة في هذا المقال ، ويشهد الله تعالى أنني أتمنى أن أكون مخطئاً فيما عرضت في هذا المقال ، يشهد الله تعالى أنني أتمنى أن يأتي باحث بدليل جلي يرد ما قدّمت في هذا المقال .. وبذلك نكون قد محصنا منهجية التدبر في كتاب الله تعالى ، خدمة لكتاب الله تعالى ..

.. أعود فأقول : خشية من الوقوع في ساحة المعنيين بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، أضع

هذا الأمر بين أيديكم ، وفي أعناقكم ، تاركاً الفصل فيه بيننا ، لله تعالى ..

﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [المتحنة : ٣] ..

المهندس
عدنان
الرفاعي